الفصل الأول:
دور الزوج في توفير السعادة لزوجته في بيت الزوجية

يتضح دور الزوج المسلم في تحقيق كل ما من شأنه إسعاد زوجته في بيت الزوجية، في حدود ما نصت عليه شريعة الإسلام. وفى مقدمة هذا الدور القيام بالإنفاق على بيت الزوجية، وتوفير احتياجاته والإنفاق على الزوجة، وتحقيق كل ما يجعلها تؤدى دورها بنجاح كزوجة مسلمة وراعية لبيت الزوجية..

في القرآن الكريم:

وفى القرآن الكريم وبيانه لدور الزوج في إسعاد زوجته وبيتهما، يقول ربنا العظيم سبحانه:{ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ} [النساء: ٣٤] الآية. قال أبو السعود: " والتفضيل للرجال لكمال العقل وحسن التدبير ورزانة الرأى ومزيد القوة. ولذلك خصوا بالنبوة والإمامة والولاية والشهادة والجهاد وغير ذلك " [1] من الوظائف الهامة والحيوية في الحياة الدنيا.. وقال ابن عباس وغير واحد:{فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ} يعنى مطيعات لأزواجهن.. وقال السُّدّى وغيره:{حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ} أى تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله[2].. فالزوجة مطالبة بطاعة زوجها فيما أمر والانتهاء عما نهى عنه بحكم قوامته وإمارته عليها..

(1) إرشاد العقل السليم 399/1. وانظر ص 95 من القسم الثانى من الطبعة الأولى من كتاب صفوة التفاسير - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى.
(2) ص 466 من الجزء الأول - من تفسير ابن كثير للقرآن العظيم.

ومن ناحية أخرى يتأكد هذا الدور للرجل في إسعاد زوجته وبيت الزوجية في قوله تعالى:{ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾} [طه: ١١٧] وبيان ذلك أن أول أسرة في الوجود الإنسانى تكونت من الزوجين آدم وحواء عليهما السلام. وقد سكنت الجنة. ووفر الله عز وجل لهما فيها كل وسائل العيش الرغد والراحة والسعادة. لكنه سبحانه حذرهما من طاعة عدوهما الشيطان الرجيم، الذي طرد من الجنة لرفضه السجود تكريما لآدم، ولا شك أنه سيحاول الوقيعة بهما ليهبطا معه إلى الأرض، وإذا حدث ذلك فسيشقى آدم وحده في سبيل تهيئة وسائل العيش والسعادة له ولزوجته حواء. فهو المسئول وحده عن توفير ما يلزمه ويلزم زوجته من طعام وشراب وملبس ومسكن. وإذن فسيشقى آدم كما سيشقى كل رجل في الحصول على مقومات الحياة السعيدة على وجه الأرض. فالرجل إذن راع وهو مسئول عن رعيته..

والدين الإسلامى يحث الرجل على العمل والكد في سبيل تحقيق الرزق في الأرض ومن الأرض. يقول أصدق القائلين سبحانه:{هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾} [الملك: ١٥]. فقد ذلّل الله سبحانه الأرض ليمشى عليها الرجال ويجوبون جنباتها وأقاليمها وجبالها بحثا عن الرزق الحلال فسعى الزوج في الأخذ بأسباب الرزق له ولزوجته لا ينافى التوكل على الله بل يلازمه. ويقول ربنا الكريم:{إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} الآية [العنكبوت: ١٧]. فقد أُمِرَ المؤمنون بأن يطلبوا الرزق من الله عز وجل، لأن غيره لا يملك شيئا، وأن يشكروا الله تعالى على تفضله عليهم بالنعم والأرزاق التي يأخذون بأسبابها ويتوكلون

فيها على الخالق الرازق سبحانه... والملاحظ أن الخطاب في الآيتين السابقتين موجه إلى الرجال للبحث عن الرزق والأخذ بأسبابه. فالرجل هو الجدير بذلك لما سبق ذكره من أسباب..

في السنة النبوية

فإذا انتقلنا إلى مجال السنة النبوية الكريمة - وجدنا الكثير من الأدلة التي توجب الكد والشقاء والتنقل في جنبات الأرض وفجاجها، على الرجل، من أجل الحصول على العيش الكريم والرزق الحلال بالأخذ بالأسباب والتوكل على الله.. فقد سمع عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: ♂**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتورح بطانا**♀ [1].. فالطير تغدو وتروح لطلب الرزق مع توكلها على خالقها ورازقها الكريم فهى تغدو جائعة وتروح شبعانة البطون، وكذلك الرجال.. ومن هذا القبيل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده. وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده**♀ [2]. فهذا نبى الله داود عليه السلام الذي سخر له ربه الجبال والطير وألان له الحديد وشد ملكه - علمه ربه جل وعلا صنع الدروع ليتاجر فيها ويأكل من عمل يده. وعنه يقول سبحانه: {وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾} [الأنبياء: ٧٩ - ٨٠]. ويقول عز وجل: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي

(1) رواه الترمذى والنسائى وابن ماجة من حديث ابن هبيرة ص 384 من الجزء الرابع من تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

(2) رواه البخارى عن المقدام ص 128 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ سيد أحمد الهاشمى..

ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١﴾} [سبأ: ١٠ - ١١].

ويقول المولى سبحانه:{ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾} [ص: ١٧ - ٢٠].
ورغم كل هذه النعم كان داود يأكل من عمل يده، شكرا لنعم ربه التي أنعم بها سبحانه عليه...

وينبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين جميعا إلى أن الجد والاجتهاد والهم في طلب المعيشة يكون سببا في مغفرة ذنوب لا يغفرها صوم ولا صلاة ولا حج ولا عمرة، فيقول صلى الله عليه وسلم :♂**إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصلاة، ولا الصيام، ولا الحج، ولا العمرة، ولكن يكفرها الهموم في طلب المعيشة**♂[1]. وينبه صلى الله عليه وسلم كذلك إلى أن ما ينفقه الزوج على الأهل وبيت الزوجية أعظم أجرا مما ينفقه في سبيل الله، أو في فك رقبة، أو في التصدق على مسكين. ويقول النبى صلى الله عليه وسلم في ذلك:♂**دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في فك رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذي انفقته على أهلك**♂ [2]..

وينبغى ألا يتبرم المسلم أبدا ولا ييأس إذا ضاق رزقه. بل عليه أن يتنقل في جنبات الأرض ويحاول التقاط رزقه من هنا وهناك بالطريق الحلال. فإذا غيّر مكان إقامته من أجل البحث عن الرزق الحلال وظل رزقه قليلا - فلا ييأس من رحمة الله. فلعل الله سبحانه قد قدر له أن يكون من هذه الفئة المؤمنة الصادقة في إيمانها. يبذل الرجل منها جهده في الحصول على الرزق الحلال فيرزق قليلا

(1) رواه ابن عساكر ص 42 من المرجع السابق.
(2) رواه الديلمى عن أبي هريرة 188 من المصدر السابق.

فيرضى به، فيرضى الله عنه بالقليل من العمل. فيكون سعيدا برزقه القليل ويثاب على صبره ورضاه بقضاء الله وقدره، فيكتب عند الله ممن بات حاجا وأصبح غازيا. يقول النبى صلى الله عليه وسلم في هؤلاء: ﷺ **طوبى لمن بات حاجا وأصبح غازيا: رجل مستور ذو عيال، متعفف قانع باليسير من الدنيا، يدخل إليهم ضاحكا، ويخرج منهم ضاحكا، فوالذى نفسى بيده، إنهم الحاجون الغازون في سبيل الله عز وجل** ﷺ [1]..

وفى تشجيع الزوج المؤمن وحثه على الإنفاق على زوجته وبيته - يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم : ﷺ **إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة** ﷺ [2]. فنفقة الزوج على زوجته وبيت الزوجية واجبة. ويجب أن تكون معتدلة لا ظلم فيها لأحد الطرفين. حيث يقول الله جل جلاله: {لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾} [الطلاق: ٧].. وإذا كان ذلك الإنفاق مطلوبًا منه في حالة الطلاق - فهو أشد طلبا ووجوبا في حالة الاستقرار في الزواج. فالزوج المسلم من مهامه الأساسية تقديم كل خير وواجب لزوجته وبيت الزوجية التي يعيش معها فيه. وتشمل هذه النفقة: الطعام والشراب والكسوة والمسكن، وكل ما يلزم للحياة الزوجية الطبيعية اللائقة بهما معا. وكل ذلك بغير إسراف أو تقتير. يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم : ﷺ **خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى. ما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم** ﷺ [3].

(1) رواه الديلمى ص 93 من المرجع السابق.
(2) رواه مسلم والبخارى عن ابن مسعود. ص 152 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى.
(3) رواه ابن عساكر عن علىّ ص 75 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ

وفى هذا الإطار الهام يذكّر النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين بحقوق الزوجة على زوجها. إذ أن حصولها على هذه الحقوق الشرعية يجعلها تحس بالارتياح والسعادة والاستقرار، فتخلص لبيتها ولزوجها. وفى ذلك يقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم :♂**حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يقبح، ولا يهجرها إلا في البيت**ـــ [1]. فالرسول صلى الله عليه وسلم يُذكّر المسلمين الأزواج بطائفة من أهم حقوق الزوجة على زوجها، ومنها الإطعام والكسوة وحسن المعاملة لها حتى لو أخطأت أو نشزت. فله حينئذ أن يتبع معها السلوك الشرعى في معاملة الناشز. فلا يضرب وجهها ولا يقبحه إذا لم تُجْدِ معها العظة. بل يهجرها في بيت الزوجية وخصوصا عند النوم، فلا ينام معها تحت غطاء واحد. وله أن يضربها إذا لم يُجْدِ معها الهجر، ضربا غير مبرح ولا مؤذ، وسيأتى الحديث عن ذلك في حينه...

ومن حقوق الزوجة التي اهتم بها الإسلام - تعليم المرأة. فالواجب أن يعلمها الزوج، إذا لم يُعلّمْها أبواها، كل ما ينفعها في حياتها الزوجية، من الناحية الدينية والاجتماعية، والعلمية، والثقافية. حيث يقول الله تبارك وتعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ} الآية [التحريم: ٦]. وقد قال الضحاك في تفسير هذه الآية وكذلك مقاتل: " حق المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده، ما فرض الله عليهم، وما نهاهم الله عنه " [2].. ويقول ربنا العظيم سبحانه مخاطبا أمهات المؤمنين زوجات رسول الله صلى الله

سيد أحمد الهاشمى.

(1) رواه الحاكم ص 67 من المرجع السابق.

(2) ص 377 من الجزء الرابع من تفسير القرآن العظيم لابن كثير - المكتبة القيمة.

عليه وسلم، وينسحب قوله تعالى على بقية نساء المسلمين:{ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا } [الأحزاب: ٣٤]. ففى هذه الآية الكريمة من سورة الأحزاب دليل في غاية القوة على وجوب تعلم المرأة أحكام الكتاب والسنة وسائر العلوم الشرعية، وخصوصا ما يتصل منها بالجماع والطهارة والحيض والنفاس وحقوق الزوج، وغير ذلك من الأحكام والتعاليم اللازمة لنجاح الحياة الزوجية وسعادتها.. فالذين يعلمون البنين ويتركون البنات بغير تعليم، والذين يفرطون من الأزواج - بعد تفريط الآباء والأمهات - في تعليم زوجاتهم، مخطئون، ومسئولون أمام الله عز وجل، عن تفريطهم في أمانة تعليم المرأة.. " فالعلم الشرعى النافع يكسب البنت والمرأة، كما يكسب الرجل والإبن، أخلاقا كريمة، وآدابا رفيعة، يرتفع بها المتعلم والمتعلمة، درجات عالية من الكمال والشرف والسعادة. يقول ربنا الكريم سبحانه:{يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ} الآية [المجادلة: ١١].

والمرأة كالرجل أيضا في تعلم القراءة والكتابة، ومطالعة كتب الدين الإسلامى وكتب الأخلاق وقوانين الصحة وتدبير المنزل وتربية العيال ومبادئ الفنون والعلوم: من العقائد الصحيحة والتفاسير والسير وكتب الحديث والفقه " [1].. وكان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم - يسألون أم المؤمنين عائشة من وراء حجاب عما يشكل عليهم أمره من الأحاديث وتفسير آيات القرأن الكريم، وعن الأحكام، وأمور الحلال والحرام.. وكانت عائشة

(1) بتصرف من ص 28 من كتاب الاختلاط وما ينتج عنه من مساوئ الأخلاق - للشيخ عبد الله بن زيد آل محمود - رئيس المحاكم الشرعية والشئون الدينية - بدولة قطر.

رضى الله عنها تستدرك[1] على الصحابة كثيرا من القضايا وتخبرهم فيها بالأخبار الصحيحة شرعا.. وقد عدها العلماء من حفاظ الصحابة المكثرين من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكانوا سبعة هم: ابن عباس، وابن عمر، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخدرى، وعائشة، رضى الله عن الجميع. وكان المحدث لا يعتبر حافظا إلا إذا حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الألف حديث " [2]...

وكذلك يعتبر التعليم الأكاديمى - وهو التدرج في سلم التعليم من المرحلة الابتدائية فالإعدادية فالثانوية فالجامعية فالدراسات العليا - يعتبر من حق المرأة كما هو من حق الرجل فهو يصلح النشء من الجنسين فيغذيهم بالأخلاق الحميدة والآداب الدينية والاجتماعية. وكذلك الإسلام بما يبث من مبادئ وقيم وتعاليم نافعة - يعلم النشء ذكورا وإناثا الكثير من الفضائل: كالعفاف والستر والتواضع في المأكل والمشرب والملبس والمسكن. ويحذرهم من المغالاة في الكماليات والمهور، ومن الإسراف والتبذير. ويحثهم على الاقتصاد في النكاح وأموره كالنفقة وحسن التدبير والحرص على ود الأرحام والجيران وحسن معاشرة الزوج والإنسان بصفة عامة. وكلها أمور مطلوبة منهم قبل الزواج وبعده[3]..

لكن البنت المسلمة عليها أن تتمسك بالعلم النافع وهو الذي يؤدى إلى ما ذكرناه سابقا من فوائد لتعليم البنت. وعليها أيضا أن تترك العلم غير النافع كالرقص والغناء والتمثيل وغير ذلك مما لا ينفعها

(1) تستدرك: تحسم الأمر فيها.
(2) بتصرف من نفس الصفحة من المرجع السابق.
(3) بتصرف من ص29 من كتاب الاختلاط وما ينتج عنه من مساوئ الأخلاق - للشيخ عبد الله بن زيد آل محمود بدولة قطر.

قبل الزواج ولا بعده. ففيه مضيعة للوقت، وسير في طريق الشر، طريق الشيطان، وهو طريق غير مأمون وربما تستحسنه البنت ضعيفة الإيمان، فيجعلها عرضة للافتتان والعصيان، وذلك عكس ما هو مطلوب من العلم والتعلم..

ومن حقوق الزوجة المسلمة على زوجها المسلم - أن يحسن عشرتها. وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم الأزواج على أداء هذا الحق. وكتب الحديث والسيرة تذكر لنا كثيرا من الأمثلة الدالة على حسن عشرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجاته، أمهات المؤمنين. ومن ذلك ما ورد عن الأسود بن يزيد قال: سألت عائشة رضى الله عنها: ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يصنع في البيت؟ قالت: " كان يكون في مهنة أهله، فإذا سمع بالآذان خرج "[1]. وكان صلى الله عليه وسلم يلاطف أهله ويلاطفونه ويداعبهم ويداعبونه " فإذا جاءت الصلاة انصرف عنا وكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه "[2].. وقد روى عنه قوله صلى الله عليه وسلم :♂**إن مِنْ أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خُلُقاً، وألطفهم بأهله**ـــ[3]..

ومن إحسان عشرة الزوج لزوجته أن ينزهها ولو مرة في الأسبوع لتشعر بالسرور وتستريح من عناء العمل بالبيت. وأن يقدم إليها بعض الهدايا الرمزية في المناسبات العديدة التي تمر بها. وأن يبتعد عن أسباب الشقاق معها، والخطأ في حقها، بقصد السيطرة لمجرد السيطرة وليس لسبب شرعى. وعليه أن يحترم شخصيتها،

(1) ص483 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور، وقد رواه البخارى وأبو داود الطياليسى.
(2) من رواية أخرى عن عائشة رضى الله عنها.
(3) أخرجه الترمزى في كتاب الإيمان وزيادته ونقصانه 9/5 ص465 من كتاب منهج السنة في الزواج، للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

وأن يستمع إلى رأيها، وأن يستشيرها في إدارة شئون المنزل الخاصة به، وأن يأخذ برأيها إن كان صوابا وواقعيا أكثر من غيره، وعليه أن يوزع اختصاصات بيت الزوجية بينه وبينها بالعدل وبحسب قدرة كل منهما وطاقته. وليعلم الزوج أن قوامته على زوجته حق له لا يتنافى مع كل هذه الحقوق التي ذكرناها للزوجة، والتى تحس فيها بأن زوجها يحافظ على آدميتها.

وليعلم كل من الزوج والزوجة المسلمين أن الزواج القائم على الاستبداد من جانب أحدهما يكثر فيه الشقاق والخلاف أما الزواج القائم على التعاون والشورى وتوزيع الاختصاصات توزيعا عادلا على الأساس الذي ذكرناه يقل فيه الشقاق والخلاف وبالتالى يقل فيه الشقاء وتحيط به السعادة من كل الجوانب[1]. لأن ربنا عز وجل يقول: {وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ} [البقرة: ٢٢٨].. وهذه الدرجة درجة تكليف لا تشريف[2]. وهو تكليف للزوج في مجال قوامته على الزوجة والإنفاق والإمرة عليها ووجوب الطاعة عليها له..

ومن إحسان عشرة الزوج لزوجته في الأمور الهامة، الأخذ برأيها الصحيح الذي يتمشى مع الشرع والعقل لإشعارها بأهميتها ودورها في حياة زوجها. ولقد ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا رائعا في هذا المجال. فقد استشار زوجته أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها بعد صلح الحديبية. فقد ظن المسلمون بعد هذا الصلح أن شروطه فيها ظلم لهم. وعندما أراد المصطفى صلى الله عليه وسلم أن ينفذ أحد بنود هذا الصلح، وهو العودة دون عمرة في

(1) ص 457 بتصرف - من كتاب منهج السنة في الزواج.
(2) صفوة التفاسير - الطبعة الأولى - القسم الأول ص 132.

هذا العام وقضائها في العام المقبل - أمر النبى صلى الله عليه وسلم من معه من المسلمين أن ينحروا ما ساقوا من الهدى، وأن يحلقوا، فلم يمتثل أحد منهم فدخل صلى الله عليه وسلم على أم سلمة رضى الله عنها يستشيرها في هذا الأمر الخطير. حيث لم يبادر المسلمون كعادتهم إلى طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت أم سلمة للرسول صلى الله عليه وسلم : " يانبى الله.. أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا كلمة، حتى تنحر بدنتك، وتدعو حالقك فيحلقك " فلما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أشارت به عليه أم سلمة - ثاب المسلمون إلى بُدُنهم، فنحروها، وانخرطوا في امتثال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جعل بعضهم يحلق بعضا، بل كاد بعضهم يقتل بعضا ندما، على ما فرط منهم، وكانت أم سلمة عاصما من فتنة " [1]..

ومن إحسان العشرة أن يتعامل الزوج بحكمة مع زوجته إذا غارت عليه. وقد تغار الزوجة على زوجها ولكن الغيرة لها جانبان، يوضحهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الشريف:♂**من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يكره. فأما ما يحب الله فالغيرة في الريبة، وأما ما يكره الله فالغيرة في غير ريبة**═ [2].. فالغيرة في الريبة يوجد معها أمر مريب في موقف أحد الزوجين. والواجب كشف هذا الريب وتوضيحه، حتى يتبين موقف الزوجين تماما، وتعود الحياة الزوجية إلى طبيعتها شفافة واضحة، لا تدخل فيها للشيطان. أما الغيرة في

(1) البداية والنهاية 176/4 لابن كثير.

(2) رواه ابن ماجة عن أبى هريرة وأبو داود والنسائى وابن حبان عن جابر بن عتيك. ورواه أحمد والطبرانى عن عقبة بن عامر. ص79من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - للشيخ أبى حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت 1984م. وص474من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

غير ريبة، فهى من الشيطان، يصور لأحد الزوجين فعلا خياليا، ليزيل الصفاء بين الزوجين ويضخم الخلاف بينهما، حتى يوصل الحياة بينهما إلى باب المستحيل، أو قريبا منه، بغير سند واضح، ودليل بين. مع أن الواقع يقول: إنه لا ريبة ولا محل لها بين الزوجين. وهنا يكون دور الزوج المؤمن في إزالة هذا الغموض وإزاحة هذا العمل الشيطانى إلى خارج إطار الحياة الزوجية..

وعلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن، حتى يتمكنوا من درء خطر هذا النوع من الغيرة في غير ريبة لكى لا يعصف بالهدوء السائد في عش الزوجية. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين زوجاته أمهات المؤمنين في المبيت. وفى ليلة من ليالى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ارتدى صلى الله عليه وسلم ثوبيه بعد أن خلعهما، وخرج من عند عائشة، فدخلت الغيرة إلى قلبها وظنت أنه ذاهب إلى زوجة أخرى من زوجاته، فخرجت وراءه، فإذا هو قد ذهب إلى البقيع. وعرفت منه صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أن ربه أمره أن يستغفر لأهل البقيع والشهداء من المؤمنين والمؤمنات وهنا أدركت عائشة رضى الله عنها أنها أخطأت في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعادت مسرعة إلى البيت حتى لا يراها النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية لها رضى الله عنها عن ذلك تقول: " فغرت عليه أن يكون أتى بعض نسائه، فجاء فرأى ما أصنع - وكانت تغير ملابسها وقلبها ينتفض من سرعتها في المشى حتى لا يدركها رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال: ♂أغرت؟♀ [1]

(1) ما بين الشرطتين عبارة توضيحية مقتبسة من رواية أخرى لعائشة ص443من صحيح مسلم - الطبعة المميزة والمرقمة برقم المعجم المفهرس.

فقلت: وهل مثلى لا يغار على مثلك؟ فقال:♂**لقد جاءك شيطانك**ـــ قلت: أومعى شيطان؟ قال:♂**نعم**ـــ قلت: " ومعك؟♂قال:♂**نعم ولكن الله أعاننى عليه فأَسْلَمُ**ـــ [1] الحديث وهكذا نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد على عائشة ردا جميلا ويفهمها أن غيرتها هذه من عمل الشيطان، حيث لا ريبة في أمره صلى الله عليه وسلم معها. وكان الواجب على أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن تترك هذه الهواجس الشيطانية ولا تفكر فيها على نحو يعكر صفو حياتها مع حبيب الخلق محمد صلى الله عليه وسلم فلتأخذ نساء المسلمين عبرة وعظة من موقف عائشة رضى الله عنها وغيرتها بهذه الطريقة على زوجها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم - بحيث لا يتطرفن في غيرتهن على أزواجهن..

وكذلك الأزواج يجب عليهم أن يكونوا معتدلين في غيرتهم على زوجاتهم. فلا يغالون في إساءة الظنون بهن وخصوصا إذا كن طائعات لهم مؤديات لكل حقوقهم عليهن، ومنها طاعة أوامرهم واجتناب نواهيهم. ما دام الجميع على حق ملتزمين بتعاليم وتوجيهات شريعة الإسلام..

وقد تحاول الزوجة المسلمة المفاخرةَ بحسبها. والواجب على زوجها المسلم أن يحذرها من السير في هذا الاتجاه لأنه يبعدها عن الطريق الصحيح الذي يتمشى مع تعاليم الإسلام. فالأفضلية في الإسلام تكون بالتقوى لا بالحسب والنسب ولا بالجاه ولا بغير ذلك من أساليب التفاضل الغير متمشية مع المبادئ الإسلامية الفاضلة.. وحدث أن تفاخرت حفصة وعائشة رضى الله عنهما على صفية بنت

(1) ص 458، ص459من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

حُيَـيّ رضـى الله عنهـا. وهـن مـن أمهـات المـؤمنين. فقالـت حفصـة وعائشة لصفية إن لهما الفخر عليها فهما قرشيتان قريبتان أما صفية فأجنبية دخيلة. فوجه النبى صلى الله عليه وسلم صفية إلى جواب يُسْكِتُ حفصة وعائشة ويجعلهما لا تقدمان على مفاخرتها مرة أخرى. قال المصطفى صلى الله عليه وسلم لصفية رضى الله عنها: ♂**ألا قلت: وكيف تكونان خيرا منى وزوجى محمد وأبى هارون، وعمى موسى**ﷺ؟[1]..

ولو تتبعنا كتب الحديث والسيرة لوجدنا أن هناك مجالات كثيرة لأخطاء الزوجات يمكن للأزواج علاجها بالصبر وحسن التصرف.. فقد تتعرض الزوجة في صغرها قبل الزواج للإصابة بعقدة نفسية نتيجة لواقعة حدثت أمامها واختُزِنَتْ في عقلها الباطن. فإذا صادفها ما يشبهها في مرحلة النضوج وبعد الزواج فإنها تتذكرها فتضطرب في أقوالها وأفعالها مما ينعكس على بيت الزوجية واستقراره وسعادته. كما يحدث أحيانا في حوادث الاحتراق والغرق ونحو ذلك، مما يصادف بعض الزوجات، ويجعلها تتصرف بطريقة غير سوية.. ويمكن للأزواج معالجة هذه الأمور وأمثالها التي تنعكس بالسلب على تصرفات الزوجات - بالصبر وحسن التصرف واللجوء إلى الطب النفسى إذا اقتضى الأمر[2].

وقد تلجأ بعض الزوجات إلى تقليد أمهاتهن في التصرف في بعض أمور الحياة الزوجية الجديدة بطريقة قديمة قد لا تتناسب مع الحياة الزوجية الجديدة. فلكل وقت أذان كما يقول المثل الشعبى. وما

(1) رواه ابن ماجة عن أبى هريرة 1/ 643 ص 643 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.
(2) ص 465 من نفس المرجع السابق.

كان مناسبا في الماضى من تصريف النساء لبعض الأمور قد لا يتناسب الآن مع الحياة الزوجية الحالية. كطريقة طهى الطعام مثلا. فقد لا تتناسب الطرق القديمة مع الحياة العصرية الجديدة. وعلى الزوج في هذه الحالة أن يوجه زوجته إلى الطريقة الأفضل دون أن يشعرها بأنها تتمسك بتقليد أمها مثلا في طريقة الطهى. وهو بهذا التصرف يضرب عصفورين بحجر واحد. ففى الوقت الذي يوجه زوجته إلى فعل ما يحب من الطرق، فهو لا يشعرها بأنها تحرص على تقليد أمها في طريقتها القديمة في طهى الطعام حتى لا تصاب بالحرج والضيق، وتتحسر على الأيام التي قضتها في بيت أمها وأبيها.

ومن الأهمية بمكان أن ننبه إلى أنه لا مفر من أن تقف أسرة الزوجة موقفا حياديا في هذه المسألة فلا تشجع ابنتها على موقفها، ولا تحاول التدخل بينها وبين زوجها لحمله على الموافقة على رأيها. بل يجب أن تحث ابنتها على طاعة زوجها واتباع الطريقة التي يحبها. ولتترك الخلاف للزوج وزوجته ينهيانه بطريقتهما الخاصة دون تدخل منها، في ساعة من ساعات الرضا. والملاحظ أن تدخل الأسرة بين ابنتهم وزوجها يلقى بظلال اليأس على مستقبل الحياة الزوجية لابنتهم، على عكس ما يشعرون ويقدرون..

وبالمثل يجب أن تأخذ أسرة الزوج موقفا حياديا فلا تشجع ولدها على معاملة زوجته بقسوة لمجرد خلافها معه في مسألة بسيطة، تحدث عادة في أسر كثيرة، ولا تحتاج منها أو من أسرة الزوجة إلى تصعيد الخلاف.. وهذا الحياد من أسرة كل من الطرفين يهون الأمر على الزوج وزوجته فيسعيان جاهدين إلى تصفية الخلاف وعودة حياتهما الأسرية إلى طبيعتها دافئة كما كانت قبل الخلاف، في أسرع

وقت ممكن..

ولكل زوجين صالحين وأسرتيهما قدوة حسنة برسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المجال. حيث لم يتدخل النبى الكريم بين ابنته فاطمة الزهراء رضى الله عنها وبين زوجها علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه. فقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت فاطمة. فلم يجد عليا في البيت فقال: **أين ابن عمك؟**ـــ قالت: كان بينى وبينه شئ فغاضبنى فخرج فلم يقل عندى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنسان:♂**انظر أين هو؟**ـــ فجاء فقال: يارسول الله، هو في المسجد راقد، فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه، وأصابه تراب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه ويقول:♂**قم أبا تراب، قم أبا تراب**ـــ [1]. وهكذا حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على عدم التدخل بين على وبين زوجته فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم. مما جعل عليا يتغاضى عن خلافه معها بعد أن رأى لطف أبيها صلى الله عليه وسلم معه، وحرصه على استمرار الحياة الزوجية الطبيعية بينهما دون تدخل منه. ولم يلبث أن عاد علىّ إلى بيته وكأن شيئا لم يكن بينه وبين زوجته فاطمة رضى الله عنها..

ولكن قد تحدث ظروف خطيرة، تفرض على والد الزوجة أو من يحل محله، أن يتدخل بينها وبين زوجها تدخلا شرعيا لإبعاد خطر أو دفع فتنة تكاد تصيب الزوجة في دينها أو عرضها، وتعصف ببيت الزوجية، بسبب تصرف طائش من زوجها. وأوضح مثال لذلك، هو ما حدث من تدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين

(1) البخارى، عناية الدكتور محمد تامر الجزء الأول ص 101 فى كتاب الصلاة باب نوم الرجال في المسجد عن سهل بن سعد.

ابنته فاطمة الزهراء رضى الله عنها وبين زوجها علىّ رضى الله عنه وكرم الله وجهه. وذلك عندما سيطرت فتنة الدنيا على علىّ في لحظة من لحظات طيش أصابه، فخطب ابنة - عدو الله ورسوله والمؤمنين - أبى جهل على ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خاف على ابنته فاطمة رضى الله عنها من أن تفتن في دينها، فأعلن أنه صلى الله عليه وسلم استؤذن في هذه الخطبة ولم يأذن. وإزاء هذا الموقف الحازم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ترك علىّ خطبة ابنة أبى جهل. فعن المسور بن مخرمة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وهو يقول: ♂**إن بنى هاشم بن المغيرة استأذنونى أن يُنكِحوا ابنتهم، على بن أبى طالب. فلا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن. إلا أن يحب ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم. فإنما ابنتى بضعة منى. يريبنى ما رابها. ويؤذينى ما آذاها**♂. قال: فترك على الخطبة[1]..

وعلى الزوج حتى يسعد زوجته وتسعد به - أن يعلمها الصبر على الشدائد والصعاب التي تقابلها في حياتها الزوجية، ومحاولة التغلب عليها، دون اللجوء إلى أبويها كلما لاحت لها مشكلة أو صعوبة. وإذا أردنا القدوة الحسنة في هذا الأمر - فلنا أن نستفيد من موقف فاطمة رضى الله عنها وزوجها علىّ، ومن تصرف النبى صلى الله عليه وسلم معهما في شكوى فاطمة من أثر الرحى وطلبها خادما يخفف عنها من هذا الأثر ويقضى حوائجهما.. فقد أثر استعمال فاطمة للرحى فيها أثرا كبيرا لدرجة جعلها تعرض شكواها على أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها. واتفقت فاطمة مع علىّ

(1) صحيح مسلم. الطبعة المميزة والمرقمة بترقيم المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ص 1224.

رضى الله عنهما على عرض هذا الأمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنهما لم يجرآ على إثارة هذه الشكوى أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سنحت الفرصة بذلك، عندما جاء سبى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت فاطمة رضى الله عنها إلى أبيها ولكنها لم تجده فأخبرت عائشة رضى الله عنها. وعندما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلبهما، صرفهماعنه صرفا حسنا ودلهما على ما هو خير لهما منه. حيث ذهب إليهما وقال لهما: ﷺ **ألا أعلمكما خيرا مما سألتماني؟ إذا أخذتما مضجعكما تكبرا أربعا وثلاثين، وتسبحا ثلاثا وثلاثين، وتحمدا ثلاثا وثلاثين. فهو خير لكما من خادم** ﷺ [1]. وقد استفاد كل من علىّ وفاطمة رضى الله عنهما من تصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم معهما في هذا الأمر. واتضح لهما أن مشاكل بيت الزوجية يجب ألا تخرج منه إلا إذا عجز الزوجان عن حلها. وأن عليهما وعلى الزوجة خاصة أن تتحلى بالصبر وأن تبحث مع زوجها عن حل مناسب لمشاكلهما الخاصة ببيت الزوجية.

وليعلم كل زوج أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بالنساء وهو على فراش الموت. فقد أوصى الأزواج بزوجاتهم في قوله صلى الله عليه وسلم: ﷺ **أيها الناس: إن للنساء عليكم حقا، وإن لكم عليهن حقا. فعليهن ألا يوطئن فراشكم أحدا، ولا يدخلن بيوتكم أحدا تكرهونه إلا بإذنكم، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجرونهن في المضاجع وأن تضربوهن ضربا غير مبرح. فإن انتهين وأطعنكم فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما النساء عندكم عوانٍ لا يملكن لأنفسهن**

(1) رواه البخارى من حديث على بن أبى طالب في 12 كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ - باب مناقب علىّ بن أبى طالب ص194من الجزء الثانى من صحيح البخارى - عناية الدكتور محمد تامر.

شيئا، وإنما أخذتموهن بأمانة الله.. واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا [1]..

فإذا حفظت الزوجة فراش زوجها من أن يطأها أحد غيره، ولم تُدخِل بيته أحدا يكرهه إلا بإذنه، وأطاعته فيما أمرها به؛ فلها منه رزقها وكسوتها بالمعروف. فهي في بيت زوجها كالأسيرة بحكم ما بينهما من ميثاق غليظ. فإذا لم تطعه، وفعلت ما يغضبه فله أن يهجرها في بيت الزوجية وأن يضربها ضرباً غير مبرح، لايترك أثراً ولا يكسر عضواً ولا يسيل دماً حتى تنتهي عن عصيانها.

وفي وجوب معاملة الزوج لزوجته باللين والحسن. يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد كان معروفاً بالشدة والخشونة: " ينبغي للرجل أن يكون في أهل بيته مثل الصبي، فإذا التمسوا ما عنده وُجِدَ رجلاً " [2]. ومن حسن معاملة الزوج لزوجته أن يجعلها تنجذب إليه وتميل نحوه. وأن يحرص دائماً على أن يكون شعورها نحوه حسناً. فيتزين لها كما تتزين له. وفي ذلك يقول الحبيب المصطفي صلى الله عليه وسلم : ♂ **اغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا وتنظفوا، فإن بني إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم** [3]. ويُروي عن بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " إني لأحب أن أتزين لامرأتي كما تتزين لي. لأن الله تعالي يقول:{وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ} الآية [البقرة: ٢٢٨][4]..

---

(1) ص106، ص107 من كتاب الإسلام والحياة الزوجية - للأستاذ عثمان السيد الشرقاوى - الطبعة الثانية - عوان: أسرى.

(2) ص107 من المرجع السابق.

(3) رواه ابن عساكر عن على ص25 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للسيد أحمد الهاشمي.

(4) ص133 من القسم الأول من الطبعة الأولي - من كتاب صفوة التفاسير - للدكتور

والخطأ من جانب الزوجة وارد فإذا تكرر عمداً أو بدون مبرر، فإنها تكون ناشزا ترفض طاعة زوجها والائتمار بأمره واجتناب نواهيه. وقد رسم الإسلام طريقاً شرعياً لعلاج نشوز الزوجة يتلخص في ثلاث نقاط سنذكرها تفصيلاً.. وعلينا في البداية أن نتذكر أن المرأة مخلوق ضعيف، مكن الله منها زوجها فجعله قيما عليها. فعليه أن يعاملها دائما بلطف ولين ما دامت تؤدى واجبها نحوه، بكل ما تستطيع من الطرق الشرعية. وعليه أيضا أن يؤدى لها كل حقوقها ما دامت تجتهد في طاعته وتحسن معاملته.. فإذا نشزت فإنه لا يقبح وجهها ولا يسبها أو يشتمها كما يفعل كثير من الناس، وإنما عليه أن يتبع الطريق الشرعى في إعادتها إلى طريق الاستقامة على شرع الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.. وقد شرع الإسلام للزوج ثلاثة طرق لتأديب زوجته في حالة نشوزها.

وقد وردت هذه الطرق في قوله تعالى:{وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا } [النساء: ٣٤].

فليبدأ الزوج مع زوجته الناشز بالعظة فيوجهها ويعرفها أن من الخير لها ولزوجها ولبيتهما أن تطيعه وتلتزم بتوجيهاته التي لا تخرج عن نطاق الشريعة الإسلامية. وعليه أن يقنعها بذلك بكل طرق الإقناع الممكنة لديه والتى يتميز بها. فإن كان يغلب عليها الإيمان والطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فستستجيب لعظة زوجها وتطيعه وتلتزم بتعاليمه في حدود الشريعة الإسلامية. على أنه في حالة عظة الناشز يجب ابتعاد الواعظ سواء كان زوجا أو غيره، عن الألفاظ البذيئة والفاحشة التي تنفر الزوجة وأهلها من

سماع النصيحة. بل يجب أن تكون العظة بأسلوب مؤدب، يأخذ بالقلوب النافرة، فيشجعها على ترك العناد والعودة إلى طاعة الزوج. فإن لم ينفع معها أسلوب العظة فعليه أن يستعمل معها أسلوب الهجر استعمالا شرعيا إسلاميا. فالهجر لا يكون إلا في بيت الزوجية. وأهم الهجر هجر الفراش. ولا يشترط للزوج أن يبحث عن مكان آخر أو بيت غير بيت الزوجية، لينام فيه، كما يفعل البعض. ومن الأهمية بمكان ألا يفعل ذلك في حضور الأولاد - إن وجدوا - حتى لا يحسوا بوجود خلاف بين أبيهم وأمهم، وهجر الفراش يتحقق بالانفراد بغطاء مستقل على نفس الفراش ويتحقق كذلك بإدارة الزوج ظهره لزوجته مع تمكنه من التحكم في نفسه. وعن هجر المرأة في مضجعها قال ابن عباس: " الهجر ألا يجامعها ولا يضاجعها على فراشها، ويوليها ظهره ".. وزاد آخرون منهم السدى والضحاك وابن عباس أيضا في رواية " ولا يكلمها " [1]. والزوجة المسلمة التي تتمتع بالحياء يؤثر فيها هذا الأسلوب أكثر مما يؤثر فيها السب والشتم والضرب، وتقبيح الوجه، وتوجيه كل الألفاظ الجارحة الخارجة عن نطاق الأخلاق الإسلامية لها..

وحتى يثمر أسلوب الهجر كما شرعه الإسلام يجب أن يتحكم الزوج في عاطفته الجنسية وأن يتجنب جماع زوجته في فترة الهجر، وألا يضعف أمام إغراءاتها له لأن جماع الزوج لزوجته في هذه الحالة يعنى أنه راض عن تصرفاتها. فلا معنى ولا شرعية للهجر إذن.. فإن استجابت الزوجة للعلاج بالهجر، فبها ونعمت، وإلا فعليه أن ينتقل للأسلوب الثالث من أساليب العلاج الإسلامى للزوجة

(1) تفسير سورة النساء في كتاب صفوة التفاسير - للشيخ محمد على الصابونى - الطبعة الأولى.

الناشز، ألا وهو الضرب غير المبرح، وهو " الذي لا يترك أثرا ولا يكسر عظما ولا يسيل دما " [1]. إذ المقصود من الضرب هنا أن تشعر الزوجة بخطئها فتعترف به وتتجنبه. أما الأسلوب الوحشى في الضرب والذى يلجأ إليه البعض لعلاج الزوجة الناشز - فغير وارد في الشريعة الإسلامية وهو مناف لتوجيهاتها وتعاليمها المقتبسة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المباركة. حيث يتنافى مع السكن والمودة والرحمة التي من المفترض أن تسود بيت الزوجية. حيث يقول المولى عز وجل:{ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾} [الروم: ٢١]. وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن أن يضرب الرجل زوجته ضربا مبرحا ثم يجامعها آخر اليوم. وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**أيضرب أحدكم امرأته كما يضرب العبد ثم يجامعها في آخر اليوم**ـ [2] ويقول صلى الله عليه وسلم :♂**لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم**ـــ [3]. وحتى يثمر أسلوب الضرب على الزوج أيضا أن يتجنب جماع زوجته في فترة الأخذ بهذا الأسلوب. وقد رأينا تحذير رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك.

فجماع الزوج لزوجته في فترة الهجر أو الضرب يضيع الأثر المرجو منهما. فهجر الزوج لزوجته أو لجوؤه إلى ضربها يعنى أنها أخطأت ولم تتراجع، بل أصرت على خطئها، وعلى مخالفة زوجها بغير وجه حق، وجماعه لها يعنى أنه راض عن تصرفاتها الخاطئة.

(1) ص39 من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - لأبى حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت 1984م.
(2) البخارى 192/20.
(3) صحيح البخارى - عناية د. محمد تامر - الجزء الثالث ص 47.

وهذا التناقض بين الأمرين يعنى أن الزوج غير موفق في سلوكه مع امرأته الناشز، وأنه لا يريد إصلاح نشوزها حسب ما أمرته به الشريعة الإسلامية.. ولا يعنى ذلك أننا نشجع أسلوب الهجر أو الضرب، فلا شك أن كلا الأمرين يترك أثرا سلبيا عميقا في نفس كل من الزوج والزوجة يُخْشَى معه على بيت الزوجية، لكن إيمانهما الكامل بمبادئ الإسلام وتوجيهاته في هذا الشأن يمنع هذا الخطر عن بيت الزوجية الناشئ مادام الغرض هو الإصلاح وما دامت النوايا حسنة. وليت العظة تكفى في هذا المجال حتى لا يلجأ الزوج إلى الهجر أو الضرب..

وليعلم المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل الأسلوبين الأول والثانى من سبل علاج النشوز مع زوجاته أمهات المؤمنين رضى الله عنهن.. وقد مر بنا كيف عالج النبى صلى الله عليه وسلم بالعظة ظاهرة الغيرة عند أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، وعرفها بأن غيرتها عمل شيطانى ينبغى الابتعاد عنه وتجنبه حيث كانت هذه الغيرة غيرة من غير ريبة.. وقد استجابت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها لنصائح رسول الله صلى الله عليه وسلم لها بترك الغيرة من غير ريبة لأنها من عمل الشيطان. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يلحظ تأثرها بذلك من تغير لهجتها معه في الحديث. وكان من علامات قبولها نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن، أنها قالت له عندما عرفها بذلك: " أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك " [1]. وقد عالج رسول الله صلى الله عليه وسلم نشوز زوجاته أيضا بالهجر. " إذ أرسل صلى

(1) من حديث للسيدة عائشة - أخرجه البخارى في كتاب النكاح - باب غيرة النساء ص141من الجزء الثالث من كتاب اللؤلؤ والمرجان تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.

الله عليه وسلم إلى أم المؤمنين زينب رضى الله عنها هدية فردتها عليه. فقالت له التي هو في بيتها: لقد أقمأتك إذ ردت عليك هديتك. فقال صلى الله عليه وسلم :♂**أنتن أهون على الله من أن تقمئننى**ـــ ثم غضب عليهن كلهن شهرا إلى أن عاد إليهن " [1]. وفى الصحيحين من حديث عمر رضى الله عنه: " أقسم ألا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن " [2]. وفى رواية من حديث جابر: " ثم اعتزلهن شهرا " [3]..

وقد بدأ نشوز أمهات المؤمنين زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم بطلب زيادة النفقة وسعة العيش بعدما رأوا ترف الفرنجة وتنعمهم.. على أنه يلاحظ في الضرب أن يتجنب الزوج ضرب الوجه؛ لأنه محل كرامة الإنسان سواء كان رجلا أو امرأة. حيث يقول النبى صلى الله عليه وسلم :♂**إذا ضرب أحدكم فليتجنب الوجه**ـــ [4]. فتجنب ضرب الوجه مطلوب أيا كان المضروب. هذا وقد أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لم يضرب أحدا من زوجاته قط[5]. ويقول النبى صلى الله عليه وسلم في علاج نشوز الزوجة باللين:♂**إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة. فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج. وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها**ـــ [6]..

(1) ذكره ابن الجوزى في الوفاء - أقمأتك أى أذلتك وأصغرتك.
(2) ص90 من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - لأبى حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت - موجدته: غضبه.
(3) ص91 من المرجع السابق.
(4) رواه البخارى ص14 من كتاب مختار الأحاديث النبوية.
(5) ص90 من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - لأبى حامد الغزالى.
(6) رواه أبو هريرة ص709 من صحيح مسلم - الطبعة المميزة والمرقمة بترقيم المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.

وإذا لم تُفِدْ هذه الوسائل الثلاث في معالجة الخلاف القائم بين الزوجين. وكان للزوج دور في تضخيمه واستفحاله - فهناك وسيلة أخرى وأخيرة وهى التحكيم. فيختار أقارب الزوج وجيرانهما من أهل الخير حكما من أهل الزوج يرضى به، وحكما من أهل الزوجة ترضى به. فيحاول الحكمان التوفيق بين الزوجين. وسينجحان في هذه المهمة ما دام هدفهما الإصلاح بينهما. وفى هذا يقول أصدق القائلين سبحانه: { وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ } [النساء: ٣٥]. وقد يتطلب الأمر حكما واحدا وإرساله إلى الزوج إذا كان النشوز منه. وفى هذا المجال بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه حكما إلى زوجين فعاد ولم يُصلح أمرهما فعلاه بالدرة وقال: إن الله تعالى يقول:{إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ} فعاد الرجل، وأحسن النية، وتلطف بهما فأصلح بينهما[1]...

ومن قبيل محافظة الزوج على زوجته وحسن معاملته لها - أن يكف بصره عن النظر إلى غيرها، عملا بقوله تعالى:{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ } [النور: ٣٠] فذلك يجعلها تقصر طرفها عليه، عملا بقوله تعالى:{وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} الآية [النور: ٣١]. فيتبادلان الصفاء والإخلاص في الدنيا، وتكون زوجة له في الجنة بإيمانهما وإخلاصهما معا في الدنيا وموتهما على الصلاح والإيمان. فتقصر طرفها عليه أيضا في الآخرة. يقول الله عز وجل فيها وفى أمثالها من الزوجات

(1) ص90 من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - لأبى حامد الغزالى - الدرة: الآلة الذي يضرب بها - علاه: ضربه -.

الصالحات:{فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾} [الرحمن: ٥٦]. وعلى الزوج في سبيل الحفاظ على زوجته - أن يأوى إليها إذا أعجبته امرأة في الطريق. فبهذا أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال أمته وكان صلى الله عليه وسلم قدوتهم في هذا المجال. فقد روى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال:♂**إن المرأة إذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله، فإن معها مثل الذي معها**ـــ [1] وفى رواية عن جابر أيضا: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة. فأتى امرأته زينب، وهى تمعس منيئة لها. فقضى حاجته. ثم خرج إلى أصحابه فقال:♂**إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه**ـــ [2].

وفى رواية:♂**فإن البضع واحد ومعها مثل الذي معها**ـــ[3]..

وكخطوة أساسية في محافظة الزوج على زوجته وإسعادها - يجب عليه أن يدعم علاقته الجنسية معها، ولا يتركها للظروف لتحل ما ينشأ بينهما من مشاكل جنسية. فقد يحرج الطرفان في مواجهة هذه المشاكل للبحث عن حل لها، فتبقى معلقة وتحدث شرخا قابلا للاتساع في العلاقة بينهما. ولا يفوتنا في هذا المقام أن ننبه إلى عدة أمور هامة لها علاقة بهذه المسألة الهامة: وأول هذه الأمور أن يتنبه

(1) رواه مسلم والترمذى واللفظ له.

(2) ص664من صحيح مسلم الطبعة المميزة والمرقمة بترقيم المعجم المفهرس لألفاظ الحديث. تمعس منيئة: تمص قطعة من المنئ وهو مادة صمغية حلوة تفرزها بعض الأشجار.

(3) رواه الخطيب عن عمر ص13 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم سيد أحمد الهاشمى.

الزوج دائما إلى مداعبة زوجته قبل أن يواقعها. وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم :♂**لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة، ليكن بينهما رسول**ـــ. قيل: وما الرسول؟ قال:♂**القبلة والكلام**ـــ [1] فالقُبلة تعبر عن الرغبة في الجماع والكلام يعبر عن الميل العاطفى والقلبى، وكلاهما يصب في تيسير عملية الجماع.

ويرى بعض الباحثين في هذا الأمر أن تعادل الميل بين الجانبين أى الزوج والزوجة، وتوفر الاستقرار الطبيعى والنفسى المعبر بهما عن الرغبة في العملية الجنسية. كل هذا يؤدى إلى التوافق العام والشامل بين الزوجين في كل نواحى الحياة الزوجية[2]..

فاقتران البدن بالبدن، بعيدا عن العاطفة وتبادل الانسجام والوحدة الروحية والذهنية بين الزوجين، ليس هو المطلوب الوحيد للحياة الجنسية السعيدة. ومن أجل ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم :♂**ثلاث من العجز عند الرجل، أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعلم اسمه ونسبه، والثانى أن يكرمه أحد فيرد عليه كرامته، والثالث أن يقارب الرجل زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤانسها ويضاجعها فيقضى حاجته منها قبل أن تقضى حاجتها منه**ـــ [3].. وثانى هذه الأمور الهامة في المجال الجنسى: أن يمارس الرجل الجنس مع زوجته بلا إفراط أو تفريط. فالإفراط معناه الإكثار من الجماع والتفريط معناه التقليل منه. وكلا الأمرين منفر، ويؤدى إلى تناقص الجاذبية، وبرودة الحياة

(1) رواه أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس من حديث أنس بن مالك، وص93من كتاب الإسلام والحياة الزوجية - للأستاذ عثمان السعيد الشرقاوى - الطبعة الثانية 1986م، ص135 من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - لأبى حامد الغزالى، طبعة أولى 1966، وطبعة ثانية1977م.

(2) بتصرف من ص134من كتاب الاسلام والحياة الزوجية - عثمان السعيد الشرقاوى.

(3) ص135من المرجع السابق.

الزوجية بين الزوجين وهى التي من المفروض أن تكون دائمة الدفء والحيوية.

وثالثها: أنه ينبغى أن يتصل الرجل بزوجته اتصالا جنسيا مرة واحدة في الأسبوع على الأقل ومرتان على الأكثر. ففى المرة يقول نبينا صلى الله عليه وسلم :♂**أيعجز أحدكم أن يجامع امرأته كل جمعة فإن له أجرين، أجر غسله، وأجر غسل امرأته**ـــ [1] وفى المرتين: جاء في كتاب النصيحة الكافية للشيخ زروق ما نصه: " وحقها أن الذي يقضى لها به في كل جمعة مرتان " [2]..

ورابعها: أن على الزوج أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها في التحصين، لأن تحصينها من الفحشاء واجب عليه. فلا ينبغى أن يقلل عليها حتى تضرر ولا يكثر عليها حتى تمل[3]..

وخامسها: أن على الزوج أن يعلم أن من المكروه أن يأتى امرأته دون أن تطيب نفسها بذلك. إذ أن ذلك قد يفسد عليها دينها وعقلها، وقد يجعلها تتشوق إلى غيره محدثة نفسها بالتغيير. كما يكره للزوج أيضا أن يأتى امرأته على غفلة، حيث يؤدى ذلك إلى نفس النتائج التي أشرنا إليها. وقد نهت الشريعة الإسلامية عن الطروق وكَرَّهته وهو أن يدخل الرجل على أهله عند قدومه من سفر. فعن مالك بن أنس رضى الله عنه أنه قال: " كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يطرق أهله، كان لا يدخل إلا غدوة أو عشية " [4].

(1) ص113م كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى.
(2) ص140من كتاب الزواج الإسلامى - لطارق إسماعيل كاخيا.
(3) ببعض التصرف من ص141 من المرجع السابق.
(4) أخرجه البخارى في كتاب العمرة - باب الدخول بالعشى ص355 من الجزء الأول من صحيح البخارى - عناية الدكتور محمد تامر.

وقد ورد في ذلك أيضا حديث جابر ابن عبد الله قال: قفلنا مع النبى صلى الله عليه وسلم من غزوة، فلما ذهبنا لندخل قال:♂**أمهلوا حتى لا تدخلوا البلاد (أى عشاءً) لكى تمتشط الشعثة، وتستحد المُغِيبة**ـــ [1]..

وسادسها: أنه معلوم جواز الجماع في كل الأوقات إلا المحرم منها وهو: وقت الصوم والحج والحيض والنفاس. يقول الله جل جلاله: {نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ} الآية [البقرة: ٢٢٣]. لكن السنة النبوية الكريمة أشارت إلى أفضلية الجماع يوم الجمعة وليلتها. تحقيقا لأحد التأويلين في قوله صلى الله عليه وسلم :♂**رحم الله من غسل واغتسل**ـــ [2] والتأويل الثانى تغسيل الميت ثم الاغتسال بعده.

وقد يعتقد بعض الأزواج أن من الخير لهم مباعدتهم لزوجاتهم عن فراشهم والانشغال بالعبادة عن جماعهن. وهذا تضييع منهم لحق الزوجات في التمتع بأزواجهن. وللزوجة في هذه الحالة أن ترفع أمرزوجها هذا للحاكم إذا عجزت عن حل خلافها الجنسى مع زوجها المباعد لها عن الفراش، وعن إقناعه بأنه مقصر معها في هذا الأمر. " فقد أتت امرأة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين إن زوجى يصوم النهار ويقوم الليل. وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله عز وجل. فقال عمر رضى الله عنه: نعم الرجل زوجك. فأعادت المرأة قولها، وأمير المؤمنين يكرر عليها الجواب. فقال علىّ بن أبى طالب وكان حاضرا: يا أمير المؤمنين هذه تشكو زوجها من مباعدته إياها عن فراشه. فنظر عمر

(1) أخرجه البخارى في كتاب النكاح - باب تزويج الثيبات ص22 من الجزء الأول من صحيح البخارى - عناية الدكتور محمد تامر قفلنا: رجعنا - الشعثة: ذات الشعر المتناثر - تستحد المغيبة: تأخذ من شعر عانتها بعد طول غياب زوجها.

(2) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى ص143من كتاب الزواج الإسلامى - للأستاذ طارق إسماعيل كاخيا - طبعة أولى 1966م.

إلى المرأة، فنكست رأسها. فبعث إلى زوجها فجاء، فقال له على بن أبى طالب: إن الله عز وجل قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع. فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهم ربك. فقال أمير المؤمنين: يا أبا الحسن والله ما أدرى مِنْ أىّ أمْرَيْكَ أعجبُ؟ أمِنْ فهمك أمرهُما؟ أم مِنْ حُكمِكَ بينهما؟ " [1].. وكثير من النساء ممن يتمتعن بالحياء يحجمن عن ذكر ذلك التباعد بينهن وبين أزواجهن والذى يأتى من جانب الأزواج بحجة انشغالهم بعبادة الله عز وجل، ولا يعلمون أن عبادة الله لاتتعارض مع الوفاء بحق الزوجة في متعة الجماع كبقية حقوقها. فكانت الزوجات عادة لا تشتكين أزواجهن للحاكم من مباعدتهم إياهن عن فراشهم. لكن عمر بن الخطاب كان لا ينتظر حتى تأتى إليه الشاكيات من تباعد أزواجهن عن جماعهن. فقد اكتشف هو نفسه إحدى هذه الشكايات، عندما كان يعس ذات ليلة فسمع صوت امرأة تعبر عن شكايتها من مباعدة الحاكم لزوجها عنها. وكانت هذه الشكاية أبياتا من الشعر قالتها الشاكية في عقر دارها فسمعها عمر واستدعاها وعرف قصتها. وكان ذلك سببا في تنظيم عمر رضى الله عنه مدة السفر للغزو وتقصيرها حتى لا يطول غياب الأزواج في الغزو عن زوجاتهم[2]..

ومن قبيل محافظة الزوج على زوجته - أن يصبر على أذاها إذا أحس منها بذلك. وليجعَل الأزواج من رسول صلى الله عليه وسلم مثلا أعلى لهم في هذا الأمر. فهو صلى الله عليه وسلم أحسن من

(1) رواه عبد الرزاق في الجامع ص113، ص114 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى.

(2) ص75، 76 من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - للشيخ أبى حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت - يونيو 1984م، وقد مرت قصة عمر مع المرأة التي اشتاقت إلى زوجها وهو في الغزو في الصفحتين 152، 153 فارجع إليها.

صبر على أذية أزواجه أمهات المؤمنين. وقد مرت بنا أمثلة للصبر على هذا الأذى. ونذكر للقارئ الكريم مثلا واضحا لصبره صلى الله عليه وسلم على أذى وقع عليه من عائشة رضى الله عنها. فقد جرى بينه صلى الله عليه وسلم وبين عائشة أم المؤمنين كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر رضى الله عنه حكما وشاهدا. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**تكلمين أو أتكلم؟**ـــ. فقالت: بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا؛ فلطمها أبوبكر حتى دمى فوها، وقال: يا عُدَيَّة نفسِها أوَ يقول غير الحق؟!. فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :♂**لم ندعك لهذا، ولا أردنا منك هذا**ـــ [1]. بل إن الرسول زاد على احتمال الأذى منها بمداعبتها والمزاح معها، وملاعبتها وقد ذكرنا سابقا أنه صلى الله عليه وسلم كان يسابقها وهذا نوع من الملاعبة والمزاح.

وعلى الزوج أن يكون معتدلا في التعامل مع زوجته. فلا يوافقها ويتبع هواها إلى حد يفسد أخلاقها، ويسقط هيبته عندها. ولا يعارضها في كل شيء حتى يغلق باب التفاهم والمناقشة بينه وبينها.. وعلى الزوج كذلك ألا يفتح بابا أو ثغرة تدخل منها الزوجة إلى قول أو فعل المنكرات. بل عليه أن يتنمر إذا رأى أو سمع منها ما يخالف الشرع الإسلامى، وأن يظهر الاستياء وعدم الرضا عن ذلك. وفى هذا المجال قال الحسن رضى الله عنه: " والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله في النار " [2] ومما لا شك فيه أنه رضى الله عنه يقصد من ذلك طاعتها في قول أو فعل منكر.. وقال

(1) ص75، 76من كتاب الزواج الإسلامى السعيد للشيخ أبى حامد الغزالى. استجارت: احتمت.

(2) ص79 من نفس المرجع السابق.

عمر رضى الله عنه في ذلك: " خالفوا النساء فإن في مخالفتهن البركة " [1].. فهما (الحسن وعمر) رضى الله عنهما يريان - وهما على حق - أن من حق الرجل أن يكون تابعا لا متبوعا. وألا يتبع زوجته أو يجاريها ويوافق على قولها أو فعلها إذا ابتعد عن مبادئ وتعاليم الشريعة الإسلامية. وليعلم الزوج أن النساء بصفة عامة فيهن الميل إلى الشر، وفيهن الضعف. والرجل الزوج الكيس يتغلب على ناحية الشر في المرأة بالسياسة مرة وبالخشونة مرة أخرى حسب مقتضى الحال، كما أنه يتغلب على ضعفها بمعاملتها معاملة طيبة فيرحمها ولا يقسو عليها..

ومن محافظة الزوج على زوجته أن يعتدل في الغيرة عليها. وقد سبق أن أشرنا إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**إن من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل، وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة**ـــ الحديث. وأشرنا كذلك إلى الغيرة المحمودة وغير المحمودة.. على أنه يجب أن يعلم كل زوج مسلم أن الإكثار من الغيرة على الزوجة يلقى حولها ظلالا من الشك فتلوكها ألسنة الناس. ومن أسوأ ما يمر بالزوج المسلم أن تُرمى زوجته بالسوء بسبب غيرته عليها. فيجعلها ذلك في متناول ألسنة ضعاف الإيمان من الناس. بل وألسنة السوء. وقد نَبَّهَنَا إلى أهمية هذه المسألة الإمام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه فقال: " لا تكثر الغيرة على أهلك فتُرمى بالسوء من أجلك " [2]...

ومن محافظة الرجل على زوجته أن يعتدل في الإنفاق عليها. فلا يشح في ذلك ولا يسرف. فالشح إفراط والإسراف تفريط. وأفضل

(1) ص79 من نفس المرجع السابق.
(2) ص85 من المصدر السابق.

تطبيق للاعتدال في الإنفاق هو الالتزام بقول الله عز وجل:{ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا} [الإسراء: ٢٩]. وقد ورد أنه " كان لعلىّ رضى الله عنه أربع نسوة، فكان يشترى لكل واحدة في كل أربعة أيام لحما بدرهم " [1]..

ومن الأهمية بمكان أن يطعم الزوج زوجته ويكسوها وينفق عليها ويمدها وبيت الزوجية بكل ما يلزمهما من مال حلال. وعليه أن يبتعد عن المداخل المالية السيئة وألا يستسهلها من أجل إرضاء زوجته إن كانت دائما تشعره بالتقصير في الإنفاق. فاستسهال هذه المداخل المالية السيئة المحرمة جناية على زوجته يرتكبها في حقها وليس مراعاة لها وتحقيقا لمطالبها. وكانت النساء في عصر النبوة والخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين - توصين أزواجهن بذلك. وفى هذا الإطار " هم رجل من السلف الصالحين بالسفر فكره جيرانه سفره، فقالوا لزوجته: لِمَ ترضين بسفره ولم يدعْ لك نفقة؟ فقالت الزوجة: زوجى منذ عرفته أكالا وما عرفته رزاقا ولى رب رزاق. يذهب الأكال ويبقى الرزاق " [2]. وهذا مثال للمفرط في حق زوجته وبيت الزوجية. فليس هذا التصرف من الزوج كما وصفته زوجته - من المروءة ولا من الرجولة ولا من الإسلام. فقد جعل الإسلام الزوج قيما على زوجته وبيته كما سبق القول. وليس من الإسلام في شيء أن يتوسع الرجل في الإنفاق على نفسه، وأن يمسك في الإنفاق على زوجته وأولاده وبناته وبيت الزوجية وكل من لهم حقوق عليه.

وما أروع توجيهه صلى الله عليه وسلم للمسلمين في هذا الشأن.

(1) ص86 من المصدر السابق.
(2) ص150من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - عبد العزيز الشناوى.

فقد روى عبد الله ابن عمر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:♂ **كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت**ـــ [1]..

فالزوج مأمور من الله عز وجل ومن رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يعاشر زوجته بالمعروف حتى لو كان يكرهها، وعليه أن يحاول جاهدا أن يجعلها طوع بنانه ورهن إشارته وتحت إمرته. وكلما أحاطها بالعناية والرعاية كلما تخلصت من أنانيتها وتعاونت معه على إسعاده وإسعادها وإسعاد عش الزوجية. يقول ربنا العظيم سبحانه:{وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا } الآية [النساء: ١٩]. كما نهى الإسلام المؤمن عن أن يفرك زوجته؛ أى يكرهها بالكلية ويعاملها على هذا الأساس. فلا شك أنه سوف يجد فيها صفات حسنة كما يجد فيها صفات سيئة. وعلى الزوج المؤمن أن يتحمل ما يجده عند زوجته من صفات سيئة. وأن يحوِّل انتباهها دائما إلى الصفات الحسنة والزوجة المؤمنة تتفاعل إيجابيا مع زوجها المؤمن فتحاول أن تتجه إلى الصفات الحسنة حتى يتعدل سلوكها فترفض الصفات السيئة بالتدريج حتى تتصف بالحسن دائما وتبتعد عن القبيح من الأقوال والأفعال والصفات. وصدق الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم إذ يقول:♂ **لا يَفْرُك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضى منها خلقا آخر**ـــ[2]..

ومن ناحية أخرى على المؤمن أن يعلم أن البيت الإسلامى يقوم على الرعاية والتكافل كما يقوم على الحب. فليرْعَ المؤمن زوجته

(1) مسند أحمد 81/11 واقرأ ص184 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(2) رواه مسلم عن أبى هريرة 58/10 من النووى والبيهقى ص 499 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور. يفرك: يكره.

ويكفلها بعنايته، وليُحقق لها رغباتها التي لا تتعارض مع مبادئ الإسلام وتعاليمه؛ فربما يقوده ذلك إلى تبادل الحب بينهما، وخصوصا وأن الإسلام ربط بينهما بميثاق غليظ تجب مراعاته من الطرفين. وإذا كان بعض الأزواج المؤمنين يتسلط عليهم الشيطان في لحظات غضب عارمة فيطلقون نساءهم المؤمنات بحجة أنهم يكرهونهن ويحرمون بناتهم من الميراث ويوزعونه على أبنائهم الذكور ويميزون بعض أبنائهم على بعض في قسمة الأموال والعروض - فإن الإسلام قد نهاهم عن فعل هذه الأمور التي تحرم الزوجين من السكن والمودة والرحمة التي يتمتع بها البيت الإسلامى[1].

وقد حدث في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن طلق غيلان ابن سلمة الثقفى نساءه وقسم ماله بين بنيه فبلغ ذلك عمر فقال: " إنى لأظن الشيطان فيما يسترق من السمع سمع بموتك، فقذفه في نفسك، ولعلك ألا تمكث إلا قليلا. وأيم الله، لتُراجِعَنَّ نساءك ولتُرْجِعَنَّ مالك أو لأُوَرِّثَنَّهُنَّ مِنْك، ولآمُرَنَّ بقبرك فيرجم كما يرجم قبر أبى رغال " [2]. وهكذا يمارس عمر بن الخطاب تشدده من أجل إحقاق الحق والعمل به وإبطال ما تبقَّى من أعمال الجاهلية من هضم حقوق المرأة وحرمان البنات من الميراث وعدم العدل في القسمة بين الأولاد وكل ذلك يزعزع أمن الأسرة الإسلامية ويهدد سعادتها على نحو لا يرضاه الإسلام. فالله سبحانه ولى التوفيق للزوج المسلم وزوجته المسلمة يهديهما إلى الاستقرار والسعادة المنشودة في ظل كتابه العزيز وسنة

(1) بتصرف من ص499من منهج السنة في الزواج - للأحمدى أبو النور.

(2) رواه أحمد في المسند 277/6 - 380. واقرأ نفس الصفحة499 من منهج السنة في الزواج. أبو رغال هو دليل أبرهة الحبشى إلى مكة المكرمة في حادث محاولة هدم الكعبة - مسند أحمد 13644.

نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم...

* * *